الباب الأول

التعريف بالله عز وجل

١ ـ صفة الله عز وجل كما جاء في القرآن الكريم :

لقد علمنا ربنا عز وجل في كتابه الكريم من صفاته أنه واحد أحد لا إله غيره وليس كمثله شئ ولا مقصود غيره، قال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص] .

وهو الذي ينور السموات والأرض بالشمس والقمر والكواكب ومثل نوره في قلب المؤمن الذي ينوره بهدايته للإسلام كمثل مصباح مضئ ويزداد هذا النور بنور الإيمان فهو نور على نور ، قال تعالى : ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ

ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٌ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٣٥﴾﴾ [النور :٣٥].

كما إنه سميع قريب مجيب لمن دعاه، قال تعالى:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦].

وهو أيضًا سميع بصير يسمع ويرى كل صغيره وكبيرة ﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾[المجادلة:١].

وحتى النجوى بين الناس يسمعها ، قال تعالى : ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ

أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [المجادلة:٧].

كما يعلم ما يعلنه الإنسان وما يخفيه في نفسه ، وقال تعالى : ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ﴾ [الحديد:٦] .

ويعلم كل ما في الكون مهما صغر حجمه ، قال تعالى : ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [لقمان : ١٦] .

كما أنه رحيم ودود أرحم بعباده من الأم بولدها ، قال تعالى : ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾

[النحل :٧].

ومع رحمته هذه وغفرانه للذنوب إلا أنه شديد العقاب

لمن عصاه وأصر على معصيته وجعل نفسه ندًا له ، قال تعالى : ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ [غافر : ٣] .

وهو أيضًا الرزاق ولا رزاق غيره يرزق كل من خلق من إنسان وحيوان، فهو الذي ينزل من السماء الماء الذي به حياة كل حي لذا سماه ربنا عز وجل رزقاً ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ [غافر:١٣] ، وسماه غيثًا لأن يغيث الناس من الجوع والعطش، قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الشورى:٢٨] .

وكذلك هو خالق كل شئ ، وإذا قال للشيء كن فيكون ، قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ

وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾[الأنعام: ٧٣].

فهو عالم بكل شيء ما غاب عن الخلق وما حضر، وهو حي لا يموت قائم بتدبير ملكه بحكم ودقة ولا يغفل عنه ولا ينام، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فلا أحد يستطيع أن يحيط بشيء من علمه إلا بالقدر الذي يريده وهو يحي ويميت وإليه المرجع والمصير، وقال تعالى: ﴿ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [يونس: ٥٦].

وهو كريم جواد يعطي كل من سأله سواء كان مؤمنًا أو كافرًا، قال تعالى: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ

وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم : ٢٤] .

يعطي بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وأما السيئة فلا يجازي إلا بمثلها ، قال تعالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [الأنعام : ١٦٠] . وقال تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ [البقرة : ٢٦١] .

٢ـ آيات الله في خلقه :

ومن عجائب صنع الله في خلقه الجبال فقد خلقها رواسٍ للأرض حتى تستقر وتتوازن فهي كالأوتاد في شكلها .

قال تعالى : ﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ

وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [النحل : ١٥] .

قال تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [النمل : ٨٨] .

وكذلك إنزال المطر من السماء آية من آيات صنع الله ، فالبخار الذي يصعد من البحار إلى السماء يتحول بقدرة الله إلى سحاب أبيض ثم تتحد جزيئات فتكون جزئيات أثقل فتكوِّن السحاب الأسود ثم تأتي الرياح فتؤلف بينه فتكون قطرات الماء التي تنزل إلى الأرض ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۚ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النور :٤٣] .

وأحيانًا يصحب نزول المطر البرق والرعد ليرى الإنسان قدرة الله وعظمته في خلقه فيخشاه ويطمع في

رحمته وله ملك يسوقه حيث يشاء الله دائم التسبيح لله عز وجل مع الرعد ومع ذلك يجادلون في الله .

قال تعالى : ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [الرعد : ١٢-١٣] .

فإذا أنزل الماء على الأرض الميتة أحياها الله وأنبت الكلأ والثمار ، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[فصلت:٣٩] .

وهذا الماء يسقى قطع من الأرض مختلفة الزروع فمنها الحب والفاكة والخضر فهي مختلفة في أشكالها وطعمها ورائحتها رغم أنها تسقى بماء واحد ، وقال تعالى : ﴿ وَفِى

ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [الرعد : ٤] .

وتتعجب أكثر إذا تأملت النبات الأخضر سهل الكسر كيف يشق الأرض الصلبة ، وأما الرياح فهي أيضًا آية من أيات الله في خلقه فيرسلها لواقح لذرات الماء التي في السحاب فيتحد السالب مع الموجب فيكون قطرات الماء وكذلك لواقح للنبات المذكر منها بالمؤنث لتكوين الثمرة، قال تعالى:﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحجر:٢٢] .

وبقدرته ينزل المطر بقدر حاجة الإنسان والزائد منه ينزل إلى قاع الأرض فيخرجه الإنسان عند حاجته إليه بحفر الآبار ،قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى

ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[المؤمنون: ١٨] ، وأيضًا من آيات الله في خلقه الكواكب والنجوم فمنها من يسطع بالنهار ليضئ الأرض مثل الشمس ومنها من يظهر بالليل لينور ظلمة الليل مثل القمر والنجوم فيهتدي بها المسافر،قال تعالى:﴿ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[النحل : ٦] .

كما جعل القمر ينزل منازل ثمانية وعشرون ويستتر ليلة ، إن كان الشهر تسع وعشرون وليلتين إن كان الشهرثلاثون ، وبذلك يعلم الإنسان عدد السنين والحساب ، قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [يونس:٥] .

وتعاقب الشمس والقمر ينتج عنه اختلاف في الليل والنهار فيكون النهار للعمل والليل للراحة والسكون ،

قال تعالى : ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [القصص: ٧٣] ، ومن آيات الله في خلقه إخراج اللبن من بطون الأنعام سائغًا للشاربين لا يشوبه طعم ما في بطونها من فرث ودم ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [النحل : ٤٤] .

وأما خروج العسل من بطون النحل ليكون شرابًا حلو المذاق ، وفيه شفاء كثير من الأمراض والعلل ، فهي من أكبر آيات الله في خلقه .

ولعظم قدرة الله في هذا الخلق جاءت سورة كاملة باسم هذا المخلوق الصغير فبعد دراسة مستفيضة عن هذا المجتمع العجيب أظهرت أنه مجتمع نشيط منظم يعرف كل فرد منه واجبه الذي خلقه الله من أجله فيؤديه على أتم وجه فنجد فيه الملكة التي تضع البيض والذكر الذي

يلقحها ثم يموت وأعداد كبيرة من الشغالة تقوم بمهام مختلفة فمنها من يقوم بجمع الرحيق من الأزهار ليحوله إلى عسل والبعض لتنظيف الخلية والبعض لحراستها ، وآخرون لتهوية الخلية بأجنحتهم لتحفظ درجة حرارة البيض ، ولم يتمرد فرد من أفراد هذا المجتمع على ما خلقه الله من أجله كما يفعل الإنسان ، بل يقوم بمهمته طائعًا لله ومسبحًا بحمده .

وأما خلق الإبل التي تسمى بسفينة الصحراء فهيي أيضًا آية من آيات الله، قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ ﴾ [الغاشية :١٧] ، فقد خلقها ربنا عز وجل وسخرهاه للإنسان ليسهل له السفر من بلد إلى آخر ولأنها تسير مسافات طويلة جعلها الله تتحمل الجوع والعطش أيامًا كثيرة ، حيث أنها تحمل في سنمها ماءها وغذائها ، وإذا احتاج الإنسان إلى الماء والغذاء كان في لبنها أيضًا شفاء لهم ، ومن آياته أنك تجد البحر المالح

والنهر العذب يلتقيان فلا يبغي أحدهم على الآخر بقدرة الله حيث جعل بينهما سدًا ، قال تعالى : ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٥٣] .

فسبحان من هذه آياته وهذه قدرته وعظمته ورحمته بعباده إلا أن هذه الآيات ساقها ربنا عز وجل لمن كان له عقل يتفكر به وله بصيرة يُبصر بها ، أما من عميت بصيرته وختم الله على سمعه وقلبه لاتباعه هواه فلا يرى هذه الآيات، قال تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الجاثية : ٢٣] ، فهم يمرون على هذه الآيات ولا يتفكرون فيها لأنهم عاصون أو مشركون ، قال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾[يوسف : ١٠٥-١٠٦] .

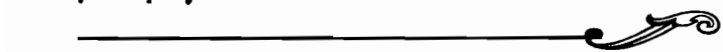

٣ـ الدلائل على قدرة الله :

(١) قدرة الله في خلق الكون :

إن عظمة الله وقدرته تتجلى إذا وقف الإنسان في مكان يرى فيه الأفق ، ثم تأمل مدى اتساع هذا الأفق الذي هو جزء من محيط الكرة الأرضية ثم تصور مدى ضآلته بالنسبة لهذا المحيط ، أما الكرة الأرضية على كبر حجمها فما هي إلا كوكب صغير يسبح في كون واسع ملئ بالكواكب في مثل حجم الأرض أو أكبر منها بكثير مثل الشمس ، ثم سأل نفسه من الذي ينظم هذا الكون بهذا النظام البديع ؟ ، لعلم أن وراء هذا الكون خالق أعظم ثم أيقن مدى ضآلته وضعفه وحاجته إليه ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [فصلت:١٠-١١] .

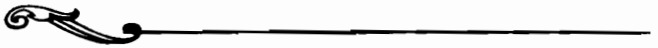

فقد خلق الله الأرض في يومين هما الأحد والإثنين ثم قدر فيها أقواتها بما فيها من دابة وإنسان في يومي الثلاثاء والأربعاء ثم استوى إلى السماء وهما بخار مرتفع فخلقهن سبع سموات بما فيها من كواكب في يومي الخمس والجمعة، وأمرها بالطاعة ثم خلق آدم في آخر ساعة من يوم الجمعة ، تأمل كل هذا الكون العظيم خلقه الله في ستة أيام ، ما أقدرك يا ربي وما أعظمك ، كون خلق بدقة متناهية لم يتمرد أي شئ فيه على ما خُلق من أجله وكل يسبح بحمده ويقدسه ، وكل في فلك يسبح لا الشمس طلعت يومًا من الغرب ولا القمر تمرد يومًا ولم يطهر في موعده ، قال تعالى : ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس : ٤٠] .

أما الإنسان فقد خُلق في آخر ساعة من يوم الجمعة، وصدق الله حين قال: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[غافر: ٥٧] ، وكل ما في هذا الكون صغر أو كبر يسبح بحمد الله ويطيعه ، والملائكة يسبحون بالليل والنهار ولا يسأمون ، قال تعالى: ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [فصلت:٣٨] ، وقال تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء:٤٤].

أما الجبل فقد دُك دكًا عندما تجلى ربنا عز وجل له ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤٣] .

والحجارة تسقط من خشية الله ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ

مِنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾

[البقرة : ٧٤].

وأيضًا كل ما في الكون يسجد لله تعظيمًا لقدرته وهيبته، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾[الحج:١٨].

أما هدهد سليمان فلم يكتفي بالتسبيح والتوحيد فقط ولكن ساهم في الدعوة إلى الله عز وجل حين أخبر سليمان عليه السلام بما كان من أمر ملكة سبأ وأنكر عليهم سجودهم لغير الله ، قال تعالى : ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النمل : ٢٢-٢٦] .

وأما الإنسان على ضآلته وضعفه وحاجته لهذا الخالق العظيم يقف ندًا له ويعصي أوامره ويشرك به رغم تكريم الله له على سائر خلقه بأن وهبه أعظم ما خلق وهو العقل ، كما سخر له هذا الكون بما فيه من مخلوقات ، قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ [يس: ٧٧]، قال تعالى : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٠] ، وصدق ربنا عز وجل حين قال : ﴿ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ ﴾[عبس : ١٧] فالتأمل في قدرة الله تؤدي إلى معرفته وإعطائه حقه من التعظيم وكل ذلك يؤدي إلى طاعته وحبه والخوف منه وتوحيده .

وإذن من أكبر الدلائل على أن الله هو خالق هذا الكون

أنه لم يأت أحد ويدعي أنه خلق هذا الكون !.

(٢) قدرة الله في خلق الإنسان وسائر مخلوقاته :

ورغم أن خلق هذا الكون أكبر من خلق الإنسان إلا أن خلق الإنسان أيضًا آية على قدرته عز وجل ، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٩ ﴾ [السجدة :٧-٩] .

فقد خلق آدم من طين لازب ، صوَّره ثم نفخ فيه من روحه فأصبح إنسانًا سويًا يرى ويسمع ويعقل ويعي كل ما حوله، وعلمه الأسماء كلها ثم أمر الملائكة بالسجود له تكريمًا لشأنه ، قال تعالى : ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ۝٢٨ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩ ﴾[الحجر : ٢٨-٢٩] ، ثم بعد ذلك خلق من ضلعه حواء

ليسكن إليها ، قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٩]، ثم بعد ذلك جعل نسله من ماء مهين، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ .[المؤمنون: ١٢-٤١] .

وبعد ذلك يخرج الجنين من بطن أمه طفلاً صغيرًا في حاجة إلى من يربيه ويعلمه ثم يصبح شابًا قويًا يبدع ويخترع ثم شيخًا هرمًا ضعيفاً يحتاج إلى المساعدة ، قال تعال: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الروم:٥٤] .

فهذه قدرة الله في خلق الإنسان التي لم يكن يعرفها أحد

قبل نزول القرآن ولا بعده إلا في العصر الحديث وهي آية من آيات قدرته وعظمته أنزلها لنا في كتابه ليتفكر الإنسان فيها فيعرف قدرته ويعرف حقه عليه إلا أن كثيرًا من الناس لا يتفكرون، وبالتالي لا يعرفون حق الله عليهم، ومن آيات الله في الخلق أيضًا أن يجعل العجوز العقيم تلد كما حدث لزكريا عليه السلام وزوجته، وقال تعالى: ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ ﴾.

[مريم ٧-٩].

وكذلك حدث بسارة امرأة إبراهيم - عليهما السلام - فقد كانت عقيمًا وبلغت من العمر تسع وتسعون عامًا وأما إبراهيم عليه السلام فقد كان بلغ المائة وعشرون عامًا فجاءته الملائكة وبشروه بحملها إسحاق ومن بعد إسحاق ابنه

يعقوب ، قال تعالى : ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾[هود: ٧١-٧٣] .

وكذلك خلق الله عيسى عليه السلام بدون أب فقد بعث ربنا عز وجل إلى أمه جبريل عليه السلام في خلوتها في صورة رجل ثم ن فخ في جيب درعها فأحست بالحمل ، قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾[مريم:١٦-٢١] .

فالذي خلق الإنسان من طين ثم من نطفة قادر على كل شئ ، فأمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون ، وهذه المعجزات التي تحدث للأنبياء ، بأمر الله تحدث أيضًا للصالحين من عباد الله إذا أخلصوا العمل والدعاء ولم ييأسوا من رحمة الله، فخالق المعجزات حي لا يموت.

(٣) قدرة الله على إحياء الموتى :

ورغم علم الإنسان بهذه القدرة إلا أن البعض يستعظم على الله القدرة على إحياء الموتى وينكر البعث والنشور، قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ ﴾[يس : ٧٨] ، ويأتي الرد من رب العالمين على هؤلاء السفهاء ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا

أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾[يس : ٧٩-٨٢]، فالذي بدأ الخلق قادر على الإعادة بل هي أيسر عليه وتصل قدرته عز وجل على أن يسوي بنانه كما كان وتسوية البنان آية من آيات قدرة الله في الخلق ، فقد اكتشف العلم أن لكل إصبح بصمة تختلف عن الآخر في اليد الواحدة وفي يد الآخرين ، قال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾﴾[القيامة : ٣-٤] .

وقدرة الله على إحياء الموتى شاهدها نبي الله إبراهيم عليه السلام عيانًا ، عندما طلب من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى فأمره أن يأخذ أربعة طير فيقطعهن ويضع على كل جبل منهن جزءاً ، فأخذ طاووسًا ونسرًا وغرابًا وديكًا وفعل بهن ما ذكر ، وأمسك رؤوسهن في يده ، ثم دعاهن فتطايرت الأجزاء إلى بعضها ثم أقبلت على رؤوسهن ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ

أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ [البقرة : ٢٦٠] .

وأما عُزير عليه السلام نبي الله عندما مر على قرية لا حياة فيها سأل نفسه أنَّى يُحيي هذه الله بعد موتها ؟! استعظامًا لقدرة الله على ذلك ، فأماته الله مائة عام ثم أحياه ليريه قدرته على إحياء الموتى وسأله كم لبثت ؟! ، قال : لبثت يومًا أو بعض يوم ، حيث نام أول النهار واستيقظ عند الغروب، قال تعالى: بل لبثت مائة عام (وهذا حال الموتى عند البعث) ، وانظر إلى طعامك (التين) وشرابك (عصير) لم يتغير بقدرة الله ، أما الحمار فقد مات ، فجمع الله عظامه وركبها وكساها لحمًا ثم نفخ فيه الروح فنهق ، فلما رأى عُزير ذلك شهد بقدرة الله على إحياء الموتى ، قال تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ

كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ [البقرة : ٢٥٩] .

هذه آيات الله في خلقه وفي إحياء الموتى فهل من يتعظ، وصدق الله العظيم حين قال : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت : ٥٣] .

(٤) قدرة الله عز وجل على تفريج الكروب :

أما قدرة الله في تفريج كروب عباده الصالحين من الأنبياء ومن سار على دربهم فليس لها حد ، فإذا أراد الله شيئًا فإنما يقول له كن فيكون ، فهذا إبراهيم عليه السلام يُلقى في النار لأنه قال ربي الله فاستغاث ربه قائلاً «حسبي الله

ونِعْمَ الوكيل» فاستجاب له ربه وفرَّج كربه، وقال للنار: كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم فلم تحرق النار إلا قيده ثم خرج منها سالمًا معافي، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾[الأنبياء: ٦٨-٧٠].

أما أيوب عليه السلام الذي ابتُلي بفقد ماله وولده وصحته حتى صار روحًا بلا جسد فصبر على هذا البلاء الشديد سبع سنين أو أكثر كما جاء في بعض الروايات وكان يدعو ربه ولم ييأس من رحمته، فاستجاب له ربنا عز وجل وكشف ما به من ضر وأحيا له أولاده إناثًا وذكورًا ورزقه مثلهم ورزقه من المال الكثير ذهبًا وفضة، قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ

لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأنبياء : ٨٣-٨٤] .

وأما يونس عليه السلام عندما التقمه الحوت ولم ييأس من رحمة الله واعترف بذنبه وظل يذكره وهو في ظلمة بطن الحوت، فأمر ربنا عز وجل الحوت ألا يكسر عظمه ولفظه إلى الخارج بقدرة الله وعظمته سليمًا، قال تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنبياء : ٧٨-٨٨].

وهكذا نرى قدرة الله في تفريج الكروب فهو قادر على كل شئ ولا يعجزه شئ في الأرض ولا في السماء ولكن الإنسان كفور ، ولهذا لم ييأس يعقوب عليه السلام من ملاقاة ابنه يوسف عليه السلام الذي غاب عنه سنين طويلة حتى ابيضت عيناه من البكاء عليه ولكن أمر أولاده بالبحث عنه وعن أخيه وقال لهم: إنه لا ييأس من رحمة الله إلا القوم

الكافرون، قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [يوسف:٨٧].

(٥) بيان رحمة الله بعباده وعدله:

ومن رحمة الله بعباده أنه دبر لهم رزقهم وسبل معيشتهم على الأرض وكتب كل ذلك في اللوح المحفوظ قبل خلقهم، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

كما سخر الدواب والأنعام لتسهيل السفر للإنسان كما ينتفع بلحمها ولبنها لغذائه ووبرها وشعرها لكسائه،

قال تعالى : ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [النحل:٥-٧] .

ومن رحمته جعل النهار للسعي والليل للراحة والسكون، قال تعالى: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [القصص:٧٣] .

أما البحر فسخره للإنسان ليأكل منه ما طاب من الأسماك ويُستخرج منه الحلي للزينة كما يستخدمه كسبيل للمواصلات بالسفن ، قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [النحل:

١٤] ، أما الجبال فلم تُخلق عبثًا وإنما لتحفظ توازن الأرض واستقرارها لراحة الإنسان ورحمة به ، قال تعالى: ﴿ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[النحل : ١٥] .

وأيضًا من آيات رحمة الله بعباده أن خلق الذكر والأنثى وجعل بينهم المودة والرحمة والسكن ثم رزقهم بالبنين والبنات ثم الأحفاد ، قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الروم: ٢١] ، وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [النحل : ٧٢] .

ومن رحمته أيضًا أن جعل لكل داء دواء وأما عسل النحل فهو من أعظم نِعم الله على الإنسان حيث أن فيه

شفاء من عديد من الأمراض ، قال تعالى:﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[النحل:٦٩] .

وأما رحمته في إجابة الدعاء وكشف السوء فهي تشمل الكافر والمؤمن ، قال تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[النمل : ٦٢] .

وهذا قليل من كثير جدًا لا يتسع المقام لذكره ، فلو كان البحر مدادًا لكلمات تصف قدرة الله وحكمته ورحمته بعباده لنفذ البحر قبل أن تنفذ هذه الكلمات، ثم بعد ذلك أتم نعمته ورحمته بعباده بإرسال الرسل إليهم لترشدهم إلى ما يصلح حالهم في الدنيا والآخرة وختمها بمحمد ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] ، و قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ

عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾ [الحديد: ٩].

وكذلك من رحمة الله بعباده أن حذرهم من الشيطان واتباع الهوى، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر: ٦]، ثم بعد ذلك إن زل الإنسان وارتكب الخطايا والآثام ثم استغفر ربه وتاب وأناب غفر له ذنوبه مهما عظمت، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[الزمر: ٥٣].

بل وتتجلى رحمة الله بعباده التائبين وتفيض عندما يبدل سيئاتهم حسنات، قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٧٠].

ومن رحمة الله بعباده أيضًا أن لا يؤاخذهم بجميع

ذنوبهم ولكن ببعضها فقط ولو آخذهم بكل ذنوبهم ما ترك على الأرض من دابة ، قال تعالى:﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾ ﴾ [فاطر:٤٥] .

ومن رحمته كذلك أن يمهل الكافرين والمصرين على المعاصي عسي أن يتوبوا ويرجعوا ، قال تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الكهف : ٥٨] .

وقد يأخذهم بالعذاب في الدنيا رحمة منه بهم لعلهم يرجعون ، قال تعالى : في حق فرعون وجنوده : ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[الزخرف:٤٨] .

ومن عدل الله ورحمته أنه يعطي بالحسنة عشر أمثالها

إلى سبعمائة ضعف ، أما السيئة فلا يجزي إلا بمثلها فقط، قال تعالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [الأنعام : ١٦٠] .

فإذا استشرى الفساد وكثر في قرية بعث الله إليهم رسولاً فإن استجابوا وتابوا وإلا أخذهم بذنوبهم وأهلكهم ليكونوا عبره لغيرهم ، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [القصص: ٥٩] .

فهذا عدل الله حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد إرسال الرسل ، قال تعالى : ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ [النساء:١٦٥] . كما يكونوا شهداء على الناس يوم القيامة ويكون الرسول عليهم شهيدًا ،

قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل : ٨٩] .

وكذلك يشهد الكافرين على أنفسهم يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [الأنعام: ١٣٠] ، فإن أنكروا ختم الله على أفواههم لتشهد عليهم أعضاؤهم بالكفر ، قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [يس : ٦٥] .

والحساب يوم القيامة يكون بالعدل والقسط فلا يُظلم إنسان شيئًا ، وإن كان وزن حبة خردل ، قال تعالى :

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[الأنبياء : ٤٧] .

فما أعدلك يا ربي وما أرحمك فأنت حقًا أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين ونحن على ذلك من الشاهدين وبك مؤمنين وموحدين .

الدليل على وحدانية الله عز وجل :

إن من أكبر الأدلة على وحدانية الله عز وجل أنه لم يأت أحدٌ في أي زمن وادعى أنه خالق هذا الكون بما فيه من كائنات،البعض ادعى الألوهية كفرعون ولكن لم يقل أنه خالقا لكون ، فقد أخذ الله الميثاق على ذرية آدم وهم في صلبه على واحدانيته وأشهدهم على ذلك ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ

ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾[الأعراف:١٧٢- ١٧٣].

فالطفل يولد على هذه الفطرة وهي توحيد الله عز وجل ثم يأتي الشيطان عندما يكبر فيخرجه عن هذه الفطرة فيصور له أن يتخذ مع الله آلهة لتقربه إلى الله، قال تعالى: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الزمر : ٣].

ثم يأتي الأبناء فيقلدون الأباء دون تفكير حتى ولو كان آباءهم على باطل، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [البقرة :١٧٠]، أو يظنون أنهم يشفعون لهم عند الله، قال تعالى: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ

عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يونس : ١٨] .

والبعض يدعي أن لله ولدًا فيشركه في العبادة اتباعًا لأحبارهم ورهبانهم ، وهذه الأقوال تتفطر لها السموات وتتشقق الأرض وتسقط الجبال ، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ ﴾ [مريم : ٨٨-٩١] .

وهذه الأقوال جميعًا ليس عندهم بها من علم ولا دليل عليها ،ولكن يظنون ظنًا ويفترون على الله الكذب بها ، قال تعالى : ﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [النمل : ٦٤] ، وطبعًا لن يستطيعوا الإتيان بهذا الدليل لأن كل الكتب السماوية ذُكر فيها أن الله واحد ولا شريك له ، وهي دعوة الرسل جميعًا ، قال تعالى : ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ۖ

هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[الأنبياء : ٢٤] ، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[الأنبياء : ٢٥] ، والأعجب من ذلك كله أنهم يقرون بوحدانية الله ثم يشركون به ، قال تعالى : ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[المؤمنون: ٨٤-٨٧] .

فكيف بعد الاعتراف بأن الملك للخالق العظيم يشركون به ويدعون بأن له ولد أو شريك فلو كان له شريك في الملك لتنازعوا الحكم بينهم لينفرد كل منهم به، قال تعالى : ﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا

يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾[المؤمنون: ٩٠-٩١].

وضرب الله لهم مثلاً على ذلك،قال تعالى:﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الزمر: ٢٩].

فهل يستوي رجل عبد لرجل واحد يأتمر بأمره فقط مع رجل عبدًا لشركاء أخلاقهم سيئة كل واحد منهم يطلب منه عمل في وقت واحد فيتحير من يخدمه ، فهذا مثل من يعبد إله واحد ومن يعبد آلهة متعددة إلا أنهم لا يعقلون ولا يعلمون حقيقة هذا الأمر ، ونحن في حياتنا كبشر لا نقبل أن يحكمنا أكثر من حاكم واحد ولو حدث لاستبد كل واحد منهما برأيه ولتخاصموا فيما بينهم ثم يضيع الشعب وسط هذا الشقاق ، وكما يُقال في المثل (المركب ذات الريسين تغرق) ، فالكون يسير بنظام واحد دقيق لأنه يحكمه إله واحد عظيم قادر على كل شئ ليس له ند

ولا شريك ولو كان فيه شريك لفسد، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾[الأنبياء: ٢٢].

وهو الذي أرسل جميع الرسل وأنزل جميع الكتب لهداية الناس إلى الحق فكيف نسوي من يهدي بمن لا يهدي، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾[يونس: ٣٥-٣٦].

وهو سبحانه وحده الخالق فهل يستوي من يخلق بمن لا يخلق ولا حتى ذبابه وإذا أخذ الذباب منهم شيئًا لا يستطيعون رده، قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾[النحل: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ

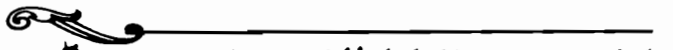

تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾[الحج : ٧٣] .

وإذا واجهتهم بهذه الحقائق التي تدل على بطلان ادعاءتهم بأن لله شريك ادعوا أنها مشيئة الله وأنهم مجبورون على ذلك ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾[النحل:٣٥].

وعند الشدائد والمحن تظهر فطرة الله التي فطر الناس عليها بأخذه الميثاق عليهم بوحدانيته فلا يجدون غير الله يدعونه ويتضرعون إليه ليكشف ما بهم من شدة وينسون الشركاء لعلمهم بأنه هو القادر على كشف الضر وحده ، قال تعالى : ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾

قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الأنعام: ٦٣-٦٤] ، قال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الأنعام : ٤٠-٤١] ، هكذا تجد كرم الله ورحمته بعباده حتى مع الكافر والمشرك إلا أنهم لا يعقلون ولا يتفكرون .

ما هو الإشراك بالله :

هو أن يجعل الإنسان لله ندًا فيعبده من دون الله أو يشركه في عبادته والشرك إما يكون خفي وهو الشرك الأصغر وإما يكون ظاهرًا وهو الشرك الأكبر .

الشرك الأصغر :

وهو الرياء فيعمل الإنسان العمل الصالح والعبادات من أجل أن يحمده الناس عليها ، وهذا النوع من الشرك

أخفى من دبيب النمل ، كما قال ﷺ، يفعله الإنسان دون أن يدري لذا يقع فيه كثير من الناس إلا ما رحم ربي ، قال تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الماعون : ٤-٧] ، و قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [النساء: ٣٨] ، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾[البقرة : ٢٦٤] ، وقال ﷺ عن رب العزة : **«أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا برئ منه وهو للذي أشرك »** (أخرجه ابن ماجه) . وقال ﷺ: **«من**

صام يُرائي فقد أشرك ، ومن صلى يُرائي فقد أشرك ، ومن تصدق يُرائي فقد أشرك » (رواه البيهقي) .

وهؤلاء أول من تُسعر بهم النار ، وقالﷺ : « إن أول من تُسعر بهم النار يوم القيامة رجل استشهد فأتى به فعرَّفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها قال: قاتلت فيك حتى استشهدت قال : كذبت ولكن قاتلت ليُقال جرئ ، فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار وكذلك رجل تعلم العلم ليُقال عالم ، وآخر قرأ القرآن ليُقال: هو قارئ ورابع تصدق ليُقال أنه جواد » (رواه مسلم) .

ومن هذا الشرك أيضًا أن يظن الإنسان أنه لأحد فضل عليه في الرزق أو الشفاء فينسى فضل الله فلا يشكره والأفضل أن يقول : إن الفضل لله ثم لفلان ومنه أيضًا أن يحب الإنسان أبواه أو رؤسائه كحب الله فيطيعهم في معصية الله ، قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن

دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [البقرة :١٦٥] .

ومنه أيضًا أن يظن الإنسان أنه صاحب فضل في تحصيل المال أو العلم أو الوصول إلى منصب أو جاه فينسى شكر الله والعمل بطاعته والحقيقة أنها فتنة، قال تعالى : ﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[الزمر : ٤٩] .

وقالها قارون أيضًا فخسف الله به الأرض ، قال تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ ﴾[القصص : ٧٨] .

ومنه أيضًا اتباع الهوى والشيطان ، قال تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الجاثية : ٢٣] .

وقال ﷺ : « **ما تحت ظل السماء من إله يُعبد أعظم عند الله من هوى يُتبع** » (رواه الطبراني) .

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ [يس:٦٠].

وهذا الشرك يحبط العمل كما سبق توضيحه لذا كان ﷺ يخاف على أمته منه قال ﷺ: « **إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا : وما الشرك الأصغر ، قال: الرياء** » (رواه أحمد بإسناد حسن) .

وعن اتقاء هذا الشرك قال ﷺ : « **اتقوا هذا الشرك فإن أخفى من دبيب النمل** فقيل له : كيف نتقيه يا رسول الله؟، قال : **قولوا : اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئًا نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلمه** » (رواه أحمد) .

الشرك الأكبر :

وهو أن يعبد مع الله آلهة أخرى كأن يُعبد أصنامًا كما

كان يفعل قوم إبراهيم وقوم نوح وقوم هود - عليهم السلام - وكذلك كان يفعل كفار قريش وما يفعله بعض الأمم في زماننا هذا وهم يعلمون أن هذه الآلهة لا تنفع ولا تضر ولا تملك لنفسها شيئًا وقد أقام إبراهيم على قومه الحجة بذلك عندما حطم أصناهم وادعى أن كبيرهم هو الذي فعل ذلك .

قال تعالى : ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [: ٦٣-٦٥] .

فاعترفوا أنهم ظلموا أنفسهم بعبادة من لا ينطق ولا يستطيع دفع الأذى عن نفسه ولكن إصرارهم على الكفر يدفعهم لعبادتهم وأما بني إسرائيل فقد مروا على قوم يعكفون على عبادة أصنام فطلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلـهًا يعبدوه كما يفعل هؤلاء فغضب موسى

عليه السلام وأنكر عليهم طلبهم هذا ، قال تعالى : ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٣٨-١٤٠] ، إلا أن السامري حقق لهم ما أرادوه في غياب موسى فأخرج لهم من حليهم عجلاً له خوار فعبدوه ولما حضر موسى وعلم ما فعلوه ذبح العجل وأحرقه وذر رماده في البحر وعاقبهم ربهم فأمرهم أن يقتل بعضهم بعضًا ثم ضربت عليهم الذلة إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٢] .

وهناك من يعبد الملائكة الذين هم عباد الله فهذا ملك

الرزق وهذا للنسل وهكذا وجعلوهم أصنامًا ليعبدوهم ومنهم من نسبهم إلى الله وقالوا: هؤلاء بنات الله، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الزخرف: ١٩-٢٠].

والعجيب أنهم ينسبون إلى الله ما يكرهون من الإناث قال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾[الزخرف:١٦-١٧].

ويدعون أنها مشيئة الله والحقيقة أنها تقليد لآبائهم الذين ضلوا وأضلوا، قال تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٢].

وأما اليهود والنصارى فقد جعلوا الله ولدًا وأشركوهما في عبادة الله كما فعل الكفار من قبلهم، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[التوبة:٣٠].فهم يتبعون أحبارهم ورهبانهم في ذلك كما فعل آباؤهم من قبل فاتخذوهم أربابًا من دون الله وصدقوهم في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله والحقيقة أنهم ما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا .

قال تعالى :﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[التوبة :٣١] .

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟

ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة: ٧٢]، وبعد ذلك كان غلوهم في الدين والكذب على الله بأن جعلوا الله ثالث ثلاثة، وجعلوا عيسى وأمه إلهين، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾[المائدة: ٧٣].

وحقيقة الأمر أن المسيح ما هو إلا نبي من أنبياء الله بعثه الله بمعجزات لبني إسرائيل تصديقًا لنبوته وأمه مؤمنة قانتة لله تعالى جعلها وابنها آية على قدرته في الخلق فخلق عيسى في بطنها بكلمة «كن فيكون»، قال تعالى: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ

أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة : ٧٥] ، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ [المائدة : ١١٠] . وكل هذه المعجزات كانت بأمر الله تعالى .

وأما عُزير فهو أيضًا نبي من أنبياء الله جعله الله آية للناس على قدرته في إحياء الموتى كما سبق أن أوضحنا، وكل ذلك فعلوه اتباعًا لرهبانهم وأحبارهم الذين ضلوا وأضلوا كثيرًا من الناس حبًا في الدنيا والرياسة ، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ

غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ [المائدة: ٧٧]، فلو أعملوا عقولهم وعكفوا على قراءة كتبهم لوصلوا إلى حقيقة الأمر، بأن الله واحد لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله حيث فيها بشرى عيسى ابن مريم ببعثة النبي ﷺ، وقد فعل كثير منهم ذلك ثم أسلموا ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [هود: ١٠٣].

عقاب المشرك في الدنيا والآخرة:

فالمشرك كما سبق توضيحه كافر لان كفر بتوحيد الله وأعرض عن اتباع الرسل فإن أصر على كفره أخذه الله بعذاب في الدنيا ليكون عبرة لغيره، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ

كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾[غافر : ٢١-٢٢].

وقال تعالى : ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [هود:١٠١]، وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[الروم : ١٢-١٣].

ويوم القيامة يسألهم عز وجل أين شركاؤكم الذين كنتم تدعون أنهم يشفعوا لكم فلا يجدون معذرة فيكذبوا على الله بإنهم ما أشركوا ، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنعام : ٢٢-٢٤].

وعندئذ يخرج لهم ربهم من كل أمة نبيهم ليشهد عليهم ويكذبهم، قال تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[القصص :٧٥] .

وتنقطع حجتهم فلا يستطيعون الكلام ولا تنفعهم أصنامهم ولا تشفع لهم، ويُقال للمشرك يوم القيامة لقد كنت في غفلة في الدنيا واليوم يُكشف عن بصرك الغطاء لترى حقيقة إشراكك بالله فيلقى في جهنم هو وشيطانه الذي أضله وتبرأ منه ، قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [ق : ٢٢-٢٧] .

ويتمنى الكافر يوم القيامة لو أن له ما في الأرض جميعًا

ليفتدي به نفسه من شدة العذاب، قال تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾ [المعارج: ١٢-١٤].

والكفرين في الآخرة بعضهم لبعض عدو، قال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧]، وأما أعمالهم الصالحة فيحبطها ربنا عز وجل يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥]، وكل هذا العذاب لأنهم لا يعقلون ولم يقدروا الله حق قدره، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧].